

"مفهوم و أهمية المنهج في البحث العلمي"

الأستاذ عثمانى عبد المالك

أستاذ جامعي بالمركز الجامعي ولاية النعامة

E. MAIL:abdelmalek_otmani@yahoo. fr

المقدمة :

لا يمكن أن تصنع أمة من الأمم حضارة راقية تثبت من خلاله وجودها إلا من خلال عنصر أساسي هو البحث، عصب الحياة، و العلوم، و المعارف، و الاكتشافات، فالأمة التي تنظر في الأفق إلى البحث عن كل جديد في كل أصناف العلم المعرفة ن هي أمة ترصد التفوق و القوة ، ومنه إثبات الوجود

إن البحث هو رمز الحياة و التقدم و التطور، فكل الأمم المتقدمة في زماننا لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بعد أن عرفت أهمية البحث و الاكتشاف، فكانت بحق جديرة بتذوق نشوة الإبداع و الابتكار في شتى مجالات الحياة. .

إن الإنسانية اليوم و الجزائر خاصة، تواجهها خيارات صعبة لم يسبق لها أن عاشتها عبر تاريخه السحيق، ولعل هذه الاختيارات كانت كحوصلة لما تولد عن التقدم العلمي، من إنجازات علمية ضخمة ضخامة قدرات الإنسان، الذي عرف كيف يوظف الفكر الإنساني، و يحشد طاقاته من خلال البحث والاستكشاف، المبني على قواعد و أصول (المناهج).

إن ما أنتجه و ينتجه الفكر الإنساني ، يعتبر بحق ثروة لا تقدر بثمن إن أحسن استغلاله، فإنها كفيلة بإخراج المجتمع الإنساني من مضايق الحياة، التي طالما أثقلت كاهل البشر عبر العصور ؛ و أما إذا لم يحسن الإنسان استغلال هذه البحوث و الاكتشافات ، عادت جهوده عليه بالزوال، و أدخلته في دوامة لا منفذ منها. .

مفهوم المنهج:

يقصد بالمنهج لغة الطريق البين و الواضح ، كقولك نهج فلان الطريق ، أي: سلكه¹ ، و منه أيضا أنهج الطريق، أي وضع و استبان ، و صار نهجا واضحا بينا، و النهج هو الطريق المستقيم.

و الجدير بالإشارة أن مفهوم المنهج لا يختلف عما ذكرناه ، إذ يقصد به السبيل و الطريق القويم لتحقيق غاية ما.

أما مصطلحه بالفرنسية **Méthode** ، و أما باللغة الإنجليزية، فهو **Méthod**، و بالإيطالية **Método**...²

ثم إن هذا المصطلح الأوربي مشتق من الكلمة اليونانية (**Métodos**) ، و التي تعني المتابعة. . .

أما المنهج بمعناه العلمي ، فهو البرنامج الذي يحدد مسبقا سلسلة من المعطيات من أجل القيام بها ، و بذلك فإن المنهج يوحى باتجاه محدد المعالم ، و متبع بانتظام في عملية ذهنية...³

و يعرف "عمار بوحوش" المنهج العلمي ، فيقول: «المنهج ، بوزن الذهب ، و المنهج هو الطريق الواضح ، و في اللغة الإنجليزية فإن كلمة **Méthode** تعني النظام و الترتيب ، و طريقة عمل شيء ، و اصطلاحا ، فإن المنهج هو مجموعة من القواعد التي يتم وضعها بقصد الوصول إلى الحقيقة في العلم ، أو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة من أجل اكتشاف الحقيقة ، أو هو فن التنظيم

1 - فاضلي إدريس - الوجيز في المنهجية و البحث العلمي - ديوان المطبوعات الجامعية - ط2 - ص9.

2 - المرجع نفسه - ص9.

3 - فاضلي إدريس - المرجع السابق - ص10.

الصحيح لسلسلة من الأفكار ، أو الإجراءات ، من أجل الكشف عن الحقيقة التي نجعلها ، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين الذين لا يعرفونها.¹

مفهوم المنهجية:

المنهجية منسوبة إلى المنهج. و المنهج و المنهاج - و الجمع منهاج - و تعني لغة الطريق الصحيح القويم ، و منه منهج و منهاج التعليم أو الدروس...² و النهج: الطريق الواضح البين. و طرق نهجة: واضحة ، كالمنهج و المنهاج. و أنهج الأمر أو الطريق: وضح. و أنهج أوضح. و نهج الأمر... و نهج الطريق: سلكه. و استنهج الطريق: صار نهجا واضحا بينا ، كأنهج الطريق: إذا وضح و استبان. و فلان استنهج طريقا أو سبيل فلان: إذا سلكه. و مما يستدرك عليه ، طريق نهجة: أي واضحة بيّنة.³

و على العموم ، فمعاني المألوفة تدور حول الإبانة و الوضوح. يقول "خالد إبراهيم يوسف": « سمي الكتاب الذي جمعت فيه خطب الإمام علي (كرم الله وجهه) بـ "نهج البلاغة" ، أي طريق البلاغة الواضح. إذن ، فالمنهجية - منسوبة إلى المنهج - في المطلق ، هي سلوك مسلك من مسالك الإستبانة و الوضوح ، للكشف عما هو مخبوء أو مجهول. أما في ميدان الأدب ، فهي المسلك الواضح البين في الدراسات الأدبية على جميع الصعد/الأشخاص ، و النصوص ، و المضامين ، و الأشكال ، و الأنواع...⁴ ».

-
- 1 - أنظر عمار بوحوش ، محمد محمود الذنيات - منهاج البحث العلمي و طرق إعداد البحوث - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1999 - ص 99. أنظر أيضا A s hornby p541...
 - 2 - خالد إبراهيم يوسف - منهجية البحث الأدبي الجامعي - دار النهضة العربية - ط 2 - بيروت - لبنان - 2010 - ص 13.
 - 3 - خالد إبراهيم يوسف - المرجع السابق - ص 13.
 - 4 - المرجع نفسه - ص (13 - 14).

مفهوم البحث:

البحث لغة: طلب الشيء في التراب. و البحث : أن تسأل عن شيء و تستخبر. و بحث عن الخبر بحثا: سأل. . . و بحث عنه. . . و بحث بحثا في الأرض: حفرها. و البحث ، جمعه أبحاث: طلب الشيء تحت التراب ، و المعدن يبحث فيه عن الذهب و الفضة ، و نحوهما. و المبحث جمعه مباحث: البحث و مكان البحث. و البحث لغة كذلك هو التفتيش ، في حين تدل الكلمة نفسها في اللغة الإنجليزية **SEARCHING** على التفحص ، و الملاحظة المدققة للأمر ، أو تعني الضوء الذي يمكن من خلاله تفحص الظلمة ، و كذلك التفتيش...¹

و المراد بالبحث اصطلاحا: كل نتاج ينتجه الدارس أو الباحث في أي موضوع من موضوعات العلم أو الفن و الأدب ، أو في فكرة من فكرها ، أو في مشكلة من مشكلاتها. فالبحث محاولة لاكتشاف أو استكشاف نوع من أنواع المعرفة ، و التنقيب عنه ، و تنميته ، و فحصه ، و تحقيقه بتقص دقيق و نقد عميق ، ثم عرضه عرضا مكتملا.²

إن البحث كما اتفق عليه أغلب المؤلفين ، هو ثمار تنقيب في شتى أنواع العلوم و المعارف. يقول "خالد إبراهيم يوسف": «و مختصر ما أجمع عليه الذين ألفوا في مناهج البحث أو تكلموا عليه ، هو: أن البحث ثمرة جهد و نتيجة. هو أيضا عملية استقصاء منظمة لإضافة معرفة إلى المعارف الحقة ، أو نقض معرفة بالحجة و الدليل...»³.

1 — A s hornby . Oxford Advanced Learners Dictionary of Current English . London p783.

2 — خالد إبراهيم يوسف — المرجع السابق — ص14.

3 — المرجع نفسه — ص14

أما "أحمد شلبي" في مؤلفه "كيف تكتب بحثاً أو رسالة" فيقول: «البحث هو الجهد الذي يبذله الباحث تفتيشاً و تنقيها و تحقيقاً و نقداً بغاية اكتشاف الحقيقة أو الوصول إليها... و البحث تقرير واف قدمه باحث في عمل تعهده و أتمه ، على أن يشمل التقرير كل مراحل الدراسة منذ كانت فكرة حتى صارت نتائج مدونة مرتبة و مؤيدة بالحجج...»¹

مفهوم العلم:

يصعب علينا إيجاد تعريف جامع للعلم ، و لذلك سوف نحاول أن نؤلف بين هذه التعريفات لنقرب بعضها بعضاً:

أولاً: العلم لغة: هو الإحاطة بالأمر إحاطة جيدة ، أو هو الأمام بإحدى التقنيات ، أو المقدرة على إتقان معرفة من المعارف.

ثانياً: العلم اصطلاحاً: هو مجموعة من المعارف و الخبرات الوضعية في اختصاص ما ، و هذه الأخيرة حسب ضوابط واضحة مؤكدة عقلياً ، في مقابل الشائعة بين عامة الناس ، و الماورائيات ، و الفلسفة ، و التقنية بمختلف أنواعها و مجالاتها ، و كذا الفن ، و علوم الشريعة...²

و يعرف "عمار بوحوش" العلم قائلاً: «العلم هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بكيان مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة ، و التي تحكمها قوانين عامة ، تحتوي على طرق و مناهج موثوق بها لاكتشاف الحقائق الجديدة في نطاق هذه الدراسة...»³

1 — أحمد شلبي — كيف تكتب بحثاً أو رسالة — مكتبة النهضة المصرية — ط 21 — الجزء 5 — 1990 — ص 13

2 — جبور عبد النور — المعجم الأدبي — دار العلم للملايين — ط 2 — بيروت — 1984 — ص 184.

3 — أنظر عمار بوحوش ، محمد محمود الذنيات — مناهج البحث العلمي و طرق إعداد البحوث — ديوان المطبوعات الجامعية — الجزائر — 1999 — ص 8.

و الجدير بالإشارة أن هناك تعريفات عديدة ، لعلنا نجد أن الشيخ " ناصيف اليازجي" (1800 - 1871م) أكثرها وضوحا ، و إحاطة بهذا المفهوم ؛ إذ يرى: «أن العلم هو مجموع مسائل ، و أصول كلية متعلقة بموضوع ما ، مرتبة على نظام مخصوص ، أو هو معرفة منظمة...»¹.

و لما كان للعلم الأهمية الكبرى في بناء حياة أفضل ، و أرقى للإنسانية جمعاء ، كان البحث فيه ضرورة ملحة ، فما هي أهمية العلم إذن؟

العلم اختصاص ، و هو لكونه صورة منظمة من صور التفكير ، يستطيع أن يكون في الإنسانية المعاصرة عامل التوحيد و الانسجام اللازمين لبقاء النظر إلى كل الأشياء ، و المواضيع ، و طلب البرهان بقوة متناظرة.

- 1 - العلم عامل تقدم الفنون و الصناعات.
- 2 - يؤثر العلم في صور التفكير ، و يخلصها من بساطتها القديمة ، و يقدم للفنون المختلفة وسائل تعبير جديدة.
- 3 - يقدم حلولاً أرقى من الحلول العفوية للمشكلات السياسية ، و الاقتصادية ، و الاجتماعية ، و غيرها.
- 4 - يساعد البشرية على حسن وعي الذات.
- 5 - يساعد الأفراد ، و الجماعات ، و الدول على حسن التنبؤ ، و التخطيط لمجابهة الأخطار و الاحتياجات المتوقعة...²

و بالتالي فالبحث العلمي: هو البحث ، و التنقيب ، و تقصي الحقائق بطريقة منظمة ، بإتباع أساليب و مناهج علمية منظمة ، و محددة ، بغرض الكشف

1 - ناصيف إبراهيم اليازجي - مجموع الأدب في فنون العرب - المطبعة الأمريكية - بيروت - 1948 ص2.

2 - صلاح الدين شروخ - منهجية البحث العلمي - دار العلوم - الجزائر - 2003 - ص11 -

عما لم يكشف بعد ، أو ما هو في حاجة إلى التعمق فيه أكثر ، أو بقصد التأكد من صحته أو تعديلها ، ووضعها في إطاره الصحيح ، أو حتى إضافة الجديد إليه...¹

أما البحث العلمي "حسب فان دالين" Van Dalen هو المحاولة الدقيقة للتوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤرق الإنسان وتحيره...²

سمات البحث العلمي:

- يتميز البحث العلمي بجملة من الخصائص ، نجمل أهمها فيما يأتي:
- 1 - تنظيري يتم من خلاله نقل العمل من مادته الخام إلى الناحية العملية المحضنة.
 - 2 - تنظيمي و دقيق ؛ ذلك أنه يستند على مناهج محددة دقيقة ، و منظمة ، و جهد موجه.
 - 3 - حركي و متجدد ، لأنه يحاول دائما تتبع الحقائق ، و الكشف عن الجديد فيها ما أمكن.
 - 4 - الكشف و التفسير: إذ من خلاله يتم التنقيب عن الحقيقة ، و مستجداتها ، و محاولة تفسيرها.

أدوات البحث العلمي:

للبحث العلمي أدوات لا يتم إلا من خلال توافرها لدى الباحث ، و نحاول تسليط الضوء على أهمها كما يأتي:

-
- 1 — أنظر عمار بوحوش ، محمد محمود الذنيات — مناهج البحث العلمي و طرق إعداد البحوث — ديوان المطبوعات الجامعية — الجزائر — 1999 — ص12.
 - 2 — ديبولدي ، فان دالين — مناهج البحث في التربية و علم النفس — ترجمة: محمد نبيل نوفل ، و سليمان الخضري الشيخ ، و طلعت منصور غبريال ، سيد أحمد عثمان — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — 1969 — ص9.

1 - العينات:

و تستعمل كمعيار لتقدير الكل المشتمل لنفس الخصائص ، ليسمح فيما بعد بتعميم نتائج دراسة العينة المختارة على الظاهرة كلها. و لهذه العينة مراحل و أنواع.

2 - مراحل اختيار العينات:

و يشترط في تحقيق الدقة أثناء هذه المراحل الانتقائية ، أن تتطابق العينة مع الظاهرة المدروسة تطابق دقيقا ، و من أجل تحقيق ذلك توجب على الباحث أن يلتزم بمجموعة من الضوابط هي:

أ - تحديد أهداف البحث تحديدا دقيقا لمساعدة الباحث على اتقاء نوع العينة و حجمها لتستجيب لمطالب البحث.

ب - تحديد مصدر العينة ، و المقصود هنا الجهة التي تختار منها العينة و التي تمثل الظاهرة المراد دراستها.

ج - إعداد قائمة للمصدر الأصلي للعينة ، و يشترط هنا التأكد من صحتها و سلامة طرق جمعها و عد اختلاطها مع أخرى.

د - الحصول على عينة مناسبة حجما: و يجب أن يكون عدد العينات ممثلا ، و يتم بناء على العناصر الآتية:

1 - المصدر الأصلي للعينة.

2 - طريقة و أسلوب اختيار العينة.

3 - درجة الدقة المرجوة. . .

و قد يلاحظ الباحث أحيانا تباينا في مصدر العينة للظاهرة المدروسة ، و جب عندئذ أن يختار عينة أكبر حجما ، و بعدد كاف لاحتواء ذلك التباين.¹

1 - صلاح الدين شروخ - منهجية البحث العلمي - دار العلوم - الجزائر - 2003 - ص(24) -

أنواع العينات:

أولاً: عينات المعاينة الاحتمالية:

وهي أن تختار العينة استناداً على قانون الاحتمالات ، وذلك من خلال سحب وحدات متتالية من العينات لكل منا احتمال محدد. . .¹

ثانياً: عينات المعاينة اللااحتمالية:

وفي هذا النوع من العينات لا يتم اختيار العينات عشوائياً كما في النوع الأول المذكور آنفاً ، بل بالمعاينة الدقيقة المعتمدة على عنصر الخبرة و معرف الخصائص ، و هذا النوع من العينات الأكثر نجاعة في تحقيق أهداف الباحث من الدراسة للظاهرة المدروسة. . .²

أهمية المنهج في البحث العلمي:

لا يمكن للباحث أن يصل إلى الحقيقة المرجوة في دراسته ، و بحثه إلا من خلال إتباع منهج دقيق قويم صحيح ، فهو الكفيل إلى ترتيب تفكيرنا بحيث يترابط فيما بينه ، و الغاية منه ، و هي الإقناع بحقيقة ما. . .³

و يقول "ديكارت" في أهمية المنهج: «أن المنهج السليم يزيد تدريجياً من معرفة المرء ، و يرفعها إلى أعلى مستوى يمكن أن تصل إليه خلال بدائية الذهن البشري و قصر العمر الإنساني.⁴

و أما الباحث "فاضلي إدريس" ، فيوضح لنا أهمية المنهج في البحث العلمي و التفكير الإنساني الصحيح ، فيقول: «إن التفكير المنظم ، هو الذي

1 - المرجع نفسه - ص23.

2 - صلاح الدين شروخ - المرجع السابق - ص27

3 - فاضلي إدريس - الوجيز في المنهجية و البحث العلمي - ديوان المطبوعات الجامعية - ط2 - ص10.

4 - فاضلي إدريس - المرجع السابق - ص10.

يرتكز على مجموعة من المبادئ تربط الحادث بالسبب ، و تقوم على استحالة تأكيد الشيء و نقيضه في آن واحد ، و هي خطوة في تعميق العقلية العلمية ، و تحفيز الفكر الخلاق ... من أجل اكتساب القدرة على الاكتشاف و الاستيعاب و التفسير، و الفهم ... إن التفكير العلمي يمثل في حياة المجتمعات ، أو العالم المتقدم اتجاها ثابتا، يستحيل العدول عنه أو الرجوع فيه ، في هذا الوقت شرع العالم المتخلف يخوض غماره من أجل أبسط مبادئ الفكر العلمي.¹

الخاتمة:

للدراصة المنهجية ، و أساليب البحث العلمي الأهمية البالغة بالنسبة لجل المعاهد، و المؤسسات التعليمية ، و على وجه الخصوص الجامعة الجزائرية ، ذلك أنها مهد البحوث و الاكتشافات العلمية في شتى مجالات الحياة . إن الدول المتقدمة قد وعت أهمية المنهجية في البحوث العلمية ، و أعطتها النصيب الأوفر من العناية و الاهتمام ، حتى في المراحل الأولى من العملية التعليمية ، ناهيك عن المرحلة الجامعية التي لا يمكن أن تسير على الطريق الصحيح لتحقيق الأهداف و الغايات من البحوث العلمية ، فالمنهجية هي العمود الفقري الذي تستقيم من خلاله الاكتشافات و الإنجازات العلمية . إن تخلفنا عن الفكر العلمي لا يمكن لأحد نكرانه ، و من أجل ذلك ، حان الوقت لبث الروح في مناخنا الفكري و الثقافي على مستوى مدارسنا و جامعاتنا ، بغية تحديث العقل، و مسيرة التطور الحاصل في الفكر العلمي الإنساني ، و إثرائه بجهود باحثينا بزرع الثقة في إطاراتنا و كوادر جامعاتنا. يقول "فاضلي إدريس" في هذا الشأن: »

1 - فاضلي إدريس - المرجع السابق - ص10.

قائمة المصادر و المراجع:

أولاً: العربية:

- 1 - أحمد شلبي - كيف تكتب بحثاً أو رسالة - مكتبة النهضة المصرية - ط21 - الجزء 5 - 1990م.
- 2 - جبور عبد النور - المعجم الأدبي - دار العلم للملايين - ط2 - بيروت - 1984م.
- 3 - خالد إبراهيم يوسف - منهجية البحث الأدبي الجامعي - دار النهضة العربية - ط2 - بيروت - لبنان - 2010م.
- 4 - ديبولدي ، فان دالين - مناهج البحث في التربية و علم النفس - ترجمة: محمد نبيل نوفل ، و سليمان الخضري الشيخ ، و طلعت منصور غبريال ، سيد أحمد عثمان - مكتبة: الأنجلو المصرية - القاهرة - 1969م.
- 5 - صلاح الدين شروخ - منهجية البحث العلمي - دار العلوم - الجزائر - 2003م.
- 6 - فاضلي إدريس - الوجيز في المنهجية و البحث العلمي - ديوان المطبوعات الجامعية - 2010م.
- 7 - ناصيف إبراهيم اليازجي - مجموع الأدب في فنون العرب - المطبعة الأمريكية - بيروت - 1948م.

ثانياً: الأجنبية:

- 8- A s hornby . Oxford Advanced Learners Dictionary of Current English . London 1989 .